# الفصل الثاني

# مصّ الأصابع..الأسباب،والآثار الضَّارة

✍هناك أسباب تؤدي إلي ظهور عادة مصّ الأصابع،سوف نوجزها في التالي:

- تزداد هذه العادة وضوحاً ورسوخاً عندما لا يشعر الطفل برفقة أمه وصحبتها، وحينما يُترك وحده؛ فيلجأ إلي مصّ الأصابع، وحين تُقطع عنه الرضاعة الطبيعيَّة وتحرمه الأم من لذة الاتصال بها٠

- شعور الطفل بالقلق والوحدة والعزلة والانفعال الشديد والانقباض، كما ترتبط عادة مصّ الأصابع بالعقوبات الموقعة علي الطفل، وخيبة الرجاء، وكثرة التأنيب٠

- التطوُّر الاجتماعي الذي جعل المرأة تخرج للعمل وبذلك يكون هناك بعض الإهمال في إرضاع الوليد رضاعة طبيعيَّة٠وقد أُجري بحث علي أمهاتٍ لا يقمن بإرضاع أطفالهن جاء فيه أنَّ ٦٤٪ منهن قد برّرن موقفهن هذا لأسبابٍ وظيفيةٍ، وأنَّ ١٣٪ قد برّرن عدم إرضاعهن لأطفالهن لأسبابٍ جماليةٍ، بينما برّرن الأمهات الباقيات ونسبتهن ١٣٪ موقفهن لأسباب الدعاية التي استطاعت إقناعهن بأنَّ الحليب المُصنَّع أفضل للرضيع من حليبهن٠

- أحد الأسباب التي تعمل على إطالة عادة مصّ الأصابع،أو زيادة احتمالاتها في الظهور هي ولادة طفل جديد في الأسرة، الأمر الذي يؤدي إلي اهتزاز شعور الطفل بالأمان والحُبّ نحو والديه، فيندفع كليةً نحو ذاته وهو من خلال ذلك يتذكَّر الشعور الممتع بالرضاعة، ممَّا يحدو به ــ بطريقة ذاتية ــ لوضع إصبعه في فمه للعثور ثانيةً على لذته الضائعة٠

- يلجأ الطفل إلي هذه العادة إذا عمل والداه علي كبح نشاطاته وتخليا عنه، أو انتابه شعور بالألم، وفقدان المحبة الأُسرية، ممَّا يخلق لديه ردود فعل تبرز علي شكل عيوب وسيئات تظهر لديه في الكِبر٠

- منع الطفل من اللَّعب مع أقرانه الصِّغار،أو رفضه من قِبل رفاقه، وهي الأمور التي تجعل الطفل يلجأ إلي مصّ أصابعه٠

- وجود الطفل في بيئةٍ مشحونة بالانفعالات والمنازعات وهذا يؤدي بالطبع إلي دفع الطفل كي يُمارس عادة مصّ الأصابع، هرباً من الواقع المؤلم الذي يُخيم عليه وعلي أسرته٠

- وجود طاقة فائضة وزائدة لدي الطفل تدفعه للجوء إلي هذه العادة بغية تفريغها والتخلُّص منها٠
- شعور الطفل بعجزه الجسمي أو الحسي أو العقلي، أو شعوره بأنَّه أقلّ ممَّن حوله في الوسامة أو الأهمية الأمر الذي يجعله غير مستقر عاطفيًّا ونفسيًّا.
- تحدث عادة مصّ الأصابع في أغلب الأحيان عندما يشعر الطفل بالجوع، أو الملل، أو الخجل، أو بالتَّعب والشعور بالنعاس، كما قد تكون مصاحبة لعملية التسنين إلي حدٍّ أنَّها قد تختفي تماماً عند بلوغ الطفل لشهره الخامس، وتعود وتظهر فجأةً بعد ذلك عند ظهور أسنان جديدة بالفم٠
- قد تظهر عادة مصّ الأصابع عند الأطفال العُصابيين، وهي تكون عَرَض من الأعراض العامَّة، ذلك لأنَّ الطفل ينام قليلاً، ويتأفف في أكله، ويكثر بكاؤه، وتُصيبه نوبات كثيرة من الغضب، كما تبدو عليه دلالات أخري من عدم استقرار الجهاز العصبي٠وفي مثل هذه الأحوال لا ينصح الأطباء باستخدام أي طريقة من طرق المنع؛ لأنَّها تؤدي إلي مقاومة بدنية، كما أنَّ العصيان العقلي الذي يثور بنفس الطفل يُزيد من اضطرابه العصبي العام الذي ينبغي أن ينصرف إليه اهتمامنا قبل أي شئ آخر٠

## دراسة حالة طفلة ظهرت عليها عادة مصّ الأصابع:

نستعرض في الفقرات التالية حالة طفلة ظهرت عليها عادة مصّ الأصابع كعَرَض من أعراض عامَّة:

أحضرت إحدى الأمهات ابنتها إلي العيادة النفسيَّة لعجزها عن منعها من التخلُّص من عادة مصّ الأصابع، مع أنَّ هذه العادة لم تكن سوي عَرَض ثانوي إلي جانب المقاومة والعناد في حياتها٠لم تكن الطفلة تجد أي وسيلة للسلوى سوي مصّ أصابعها٠ومع أنَّ المشكلات الرئيسة التي كان ينبغي علاجها من جانب الأطباء كانت أكبر خطراً من عَرَض مصّ الأصابع، إلاَّ أنَّ الأم أحضرت الطفلة لهذا الغرض٠

الطفلة تبلغ من العُمُر سنتين وثمانية أشهر، تقضي وقتاً طويلاً في مصّ أصابعها خاصَّة إذا انتابتها حالة الاكتئاب، فتضع في فمها أصبعين وتقنع بالجلوس هادئة تمتصهما٠أمَّا إذا تم عقابها بوضعها في الفراش أشتد سرورها لأنَّها سوف تتفرغ لمصّ أصابعها٠

وهي طفلة نشطة،مولعة باللَّعب خارج البيت، يسرها أن توجد مع غيرها من الأطفال رغم أنَّه من الصَّعب عليها أن تُفلح في اللهو معهم، باستثناء أختها الصَّغيرة ٠وهي طفلة مُحبة للسيطرة،

مشاكسة، خشنة، تميل إلي الشجار مع مَنْ يصغرها سناً من الأطفال٠وهي دائمة «الزن»، سريعة التهيُّج، قليلة الصبر، وإذا واجهت موقفاً يسوؤها ردت عليه بنوبةٍ عنيفةٍ من نوبات الغضب، فتطرح نفسها أرضاً، وتضرب بقدميها، ويعلو صراخها، وإذا حصلت علي الشيء الذي تريده فسرعان ما نقذف به بعيداً٠

وذكرت الأم أنها لا تصرف وقتاً طويلاً مع الطفلة، وأنَّها لا تُبدي عطفاً كثيراً نحوها٠لقد كان اهتمامها بالطفلة مُجرَّد اهتمام سطحي، فهي تُعطي ابنتها زجاجة كي تتغلَّب علي عادة مصّ أصابعها٠

إنَّ أهم مظاهر هذه الحالة وضوحاً هو قلة حنان الأم علي أطفالها، وفي المقابل عدم اكتراث الطفلة بوالديها، ووقوفها موقف العناد من الحياة، فلقد كانت تفعل علي الدوام نقيض ما يُطلب منها ٠ومن هنا يتحتم علي الآباء والأمهات بمُجرَّد ظهور حالات العناد ــ في أول الأمر ــ أن يقللوا من أهميتها ما أمكن ذلك، وأن يعملوا علي ألاَّ يجني الطفل شيئاً باتخاذه هذا السلوك، والأهم من ذلك ألاَّ نناقش هذا الأمر في وجود الطفل٠

وتبرز هذه الحالة أهمية السماح للأطفال بالاختلاط بغيرهم ممَّن هم في مثل سنهم، فالطفل منذ مطلع حياته قادر علي الانتفاع من صلاته بغيره، إذ تتاح له الفرصة لرؤية أفعال

كأنَّها منعكسة في مرآة في ردود الأفعال التي يقوم بها مَنْ هم في مثل سنه، وهو موقف كفيل بأن يُحسن فهم الأمور، وأن يتخذ الطفل موقفاً أكثر عطفاً علي غيره بفضل هذا الفهم.

ومع أنَّ الطفلة لم تبلغ بعد الثالثة من عُمْرها،إلاَّ أنَّها كانت تتحوَّل سريعاً إلي طفلة قليلة العطف، تتظاهر بمحبة غيرها في سبيل الحصول علي ما تبغي فحسب.وهذا الموقف ــ بطبيعة الحال ــ ليس إلاَّ موقفاً منعكساً عن موقف الوالدين نحو الطفلة، ولهذا لم يكن من الغريب أن تستخدم من التصرُّفات ما ينافي الحياة مع النَّاس،مثل: نوبات الغضب والعناد حتى تدفع عن نفسها خطر إغفالها كُلّ الإغفال من مُحيط الأسرة.

وكانت الخطة الموضوعة لعلاج مثل هذه الفتاة موجهاً ــ بالدرجة الأولي ــ إلي الأم، حيث وضع الأطباء لها خطة تسير عليها،تتلخص في ضرورة تغيير موقفها السَّلبي تجاه طفلتها، وأن تغمرها بالحنان والاهتمام.وينتظر أن تتحسن حالة الطفلة تحسُّناً كبيراً عند دخولها المدرسة والاتصال يوميًّا بغيرها من الأطفال.وقد تقدَّم حال الطفلة إلي حدٍ كبيرٍ عندما تحوَّلت مشاعر الأم إلي طفلتها فأغدقت عليها من الحُبِّ والحنان ما جعلها تُحس بأهميتها، وأنَّها موضع الرعاية والاحتضان من جميع أفراد أسرتها.

## أهم الآثار السَّلبيَّة لعادة مصّ الأصابع:

كان الآباء والأمهات ينفرون من عادات الفم السيئة كمصّ الأصابع، وقضم الأظفار٠٠وغيرها من العادات المتعلقة بالفم٠غير أنَّ هذا النفور قد ازداد واشتد في الآونة الأخيرة، وخاصَّة بين الآباء والأمهات الذين كانوا يحاولون أن يتتبعوا الآراء الحديثة في تربية الأطفال وتنشئتهم٠ويرجع ذلك إلي أنَّ إحدى مدارس العلاج النفسي القويَّة وهي «مدرسة التحليل النفسي» التي أرسي قواعدها «سيجموند فرويد»، والتي تُعلّق أهمية كبيرة علي هذه العادات، فيما راحت تؤكّد تأكيداً يقينياً أنَّ لها معنيً جنسيًّا عظيماً.

وكثيراً ما يسأل الآباء والأمهات عمَّا إذا كان مصّ الأصابع لا يؤدي إلي بعض الانحراف الجنسي المقيت، أو لا يُعتبر دلالة علي سوء الأخلاق !! وكُلّ ما يمكن الإجابة عليه في هذا الصدد هو القول: إذا كان مصّ الأصابع دلالة علي الرغبات الجنسيَّة المتأججة، فلنعتبر هرش الرأس، وتنظيف الأنف من هذا القبيل كذلك !! وإنَّه إذا سلمنا بهذه النظرية تمام التسليم وجب أن يكون إدراكنا للنشاط الجنسي مبايناً تمام التباين للرأي الذي يقول به أكثر النَّاس فطنة ورجاحة عقل في عصرنا الحاضر، بأنَّ هذه العادة إنمَّا هي من العادات الشائعة بين جميع

الأطفـال، حتـى ليمكـن القـول أنَّهـا أصبحـت بمثابـة العُـرف عنـد هـؤلاء الأطفال٠والمألـوف والعـادي أن تكون أمـوراً عابـرة مؤقتـة لا تسـتقر اسـتقراراً دائمـاً أو قويـاً في جنبـات شـخصية الطفـل، ومـع هـذا ينبغـي أن نذكـر أن التخلُّـص مـن هـذه العـادة وغيرهـا مـن عـادات الفـم السـيئة أمـرٌ لابـد منـه٠

ولقـد بـدا الهجـوم علـي عـادة مـصّ الأصابـع في العالـم الغربـي مـع نهايـة القـرن التاسـع عشـر، أمَّـا قبـل ذلـك فلـم يكـن يُنظـر إلـي مـصّ الأصابـع علـي أنـه عـادة سـيئة أو مشـكلة صحيـة، بـل تدلنـا الصـور الكثيـرة الموروثـة مـن القـرون الماضيـة التـي صُـور فيهـا الأطفـال الصِّغـار وهـم يمصـون أصابعهـم علـي أنَّـه كان يُنظـر إلـي هـذه العـادة علـي أنَّهـا شـئ طبيعـي مألـوف، بـل ومُحبَّـب أيضـاً !!

وكان أطبـاء الأسـنان هـم أول مَـنْ حـذروا مـن مضـار عـادة مـصّ الأصابـع، ثُـمَّ تبعهـم علمـاء النفس، وأطبـاء الصحَّـة العامَّة٠ويؤكِّـد أطبـاء الأسـنان مـن خـلال الدلائـل التجريبيـة والسـريرية والتـي أوضحـت أنَّ ضغطـاً يسـتمر مـن ٤ إلـي ٦ سـاعات يوميـاً ضـروري لتحريـك السـن، ولذلـك فـإنَّ الطفـل الـذي يمـصّ أصبعـه بشـكلٍ متقطـعٍ رغـم الشـدة العاليـة لا تنجـم عنهـا حركـة علـي الإطـلاق، علـي حـين أنَّ الطفـل الـذي يمـصّ أصبعـه بشـكلٍ مسـتمرٍ لفتـرةٍ تزيـد علـي ٦ سـاعات يوميـاً يمكـن أن تحـدث لـه تغيُّـرات سـنية مهمـة٠

والأعراض الكلاسيكيَّة لعادة نشطة عند الطفل تتعلَّق بالأسنان مثل مصّ الأصابع يمكن أن تدفع الأسنان الأمامية العلوية نحو الشفة، أمَّا الأسنان الأماميَّة السفلية فتندفع نحو اللسان، بما ينتج عن ذلك من نقص في التغطية العمودية للأسنان، وهذا ما يُسميّ بـ «العضة المفتوحة الأمامية»٠إنَّ الأسنان الموجودة علي قواعدها العظمية في الفم تخضع لتوازن عضلي دقيق بين اللسان من جهةٍ، وبين بقية العضلات المُحيطة بالفم من جهة أُخري٠هذه العادة تُفسد التوازن العضلي الدقيق واللازم ممّا يؤدي لتشوهات عديدة ينتج عنها تضييق في الفك العلوي٠

كما أنَّ حركة مصّ الأصابع قد يؤدي إلي انبساط سقف الفم ونتيجة لذلك فقد تحدث لدي الطفل لثغة كلامية تشوه عملية النطق وتُسبّب له إرباكاً في المستقبل٠ وقد يؤدي المصّ المستمر للأصابع إلي صعوبة المضغ والتنفس وضعف نمو الفكين٠

وعلماء النفس أخافوا الأهل قديماً من عادة مصّ الأصابع وجعلوها دليلاً علي انحراف شخصية الطفل، وأكَّدوا أنَّها تؤدي إلي انحرافات وعادات شاذة دائمة في الكِبر ٠ولكن ثبت فيما بعد خطأ هذه الآراء، وأنَّ خوف الأهل المُبالغ فيه غير منطقي٠ولكن إتباعهم الطرق المختلفة غير السليمة لإبطال هذه العادة، هو الذي يجعل الطفل قلقاً،مضطرباً،خائفاً،وخجولاً مُفضلاً الوحدة

والعزلة٠كما أن وقوف الأتراب والأصدقاء والمُعلّمين في المدرسة موقف الناقد المستهزئ يُزيد من تفاقم المشكلة، وقد يجعل الطفل يفقد احترامه لنفسه،الأمر الذي يُهيئ لحدوث «عقدة النقص»٠

أمَّا أطباء الصحَّة العامَّة فذكروا آثار سيئة كثيرة لمصّ الأصابع،منها : أنَّ هذه العادة تُحدث كثيراً من التشوُّهات والآفات في التجويف الفمي، والحلق، واللوز، والجهاز الهضمي، وحتى في العمود الفقري، وتعرُّض الطفل إلي الأمراض والتسمُّمات٠ولم تثبت صحَّة هذه الآراء بشكلٍ جازمٍ،التي هي أقرب ما تكون إلي الظنون والمخاوف ٠ولكن الطفل قد يتعرَّض بالفعل إلي بعض هذه المخاطر،فقد روي في الأدب الطبي أنَّ أحد الأطفال تعرَّض للتسمُّم بالرصاص لأنَّ أباه كان يترك آنية الدهان قريبة من متناول يد طفله الذي كان مُعتاداً مصّ أصابعه٠كما أنَّ هذه العادة في حالاتها الشديدة تؤدي إلي تشوه الأصبع الذي يُستخدم في عملية المصّ٠